

المجال العام بين تصور "هابرماس" والتحول الرقمي:
دراسة نقدية في ضوء تطورات الفضاء العمومي المعاصر

The Public Sphere between Habermas's Conceptualization and Digital Transformation
A Critical Study in Light of Developments in the Contemporary Public Sphere

التجاني جفوي ، عبد الرحيم بن بوزيان *

1- جامعة الزيتونة- كلية الإعلام - ترهونة ليبيا - hadasio2008@gmail.com

2- جامعة الوادي- قسم علوم الإعلام والاتصال - benbouziane-abderrahim@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2025/07/23 تاريخ المراجعة: 2025/11/03 تاريخ القبول: 2025/12/28

ملخص:

يقدم يورغن هابرماس مفهوم "المجال العام" كحيز وسطي بين الدولة والمجتمع المدني، يسمح بتداول حر وعقلاني للأفكار، ويسهم في تشكيل الرأي العام. وقد ظهرت بوادر هذا المجال في الفضاءات البرجوازية خلال القرن الثامن عشر، حيث اجتمع الأفراد للنقاش بعيدا عن هيمنة السلطة والسوق. يشترط هابرماس أن يكون المجال العام مفتوحا، متاحا، ويقوم على الحجة لا على النفوذ. إلا أن هذا النموذج، بحسبه، تعرض لاحقا للتآكل بسبب تغلغل الرأسمالية ووسائل الإعلام التجارية، مما أضعف النقاش العمومي وحول المواطنين إلى متلقين سلبيين. ومع ذلك، يظل النموذج أداة نقدية لتقييم الممارسة الديمقراطية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: المجال العام، التصور، هابرماس، التحول الرقمي

Abstract:

Jürgen Habermas presents the concept of the "public sphere" as an intermediary space between the state and civil society, allowing for the free and rational exchange of ideas and contributing to the formation of public opinion. This sphere first emerged in bourgeois spaces during the 18th century, where individuals gathered to engage in discussions away from the dominance of state and market forces. Habermas stipulates that the public sphere must be open, accessible, and grounded in argumentation rather than influence. However, this model, according to him, later eroded due to the penetration of capitalism and commercial media, which weakened public discourse and transformed citizens into passive recipients. Nevertheless, the model remains a critical tool for evaluating modern democratic practice.

Keywords:

Public Sphere, Conceptualization, Habermas , Digital ,Transformation.

1. مقدمة:

يشكّل مفهوم "المجال العام" أحد أبرز المفاهيم المركزية في الفكر السياسي المعاصر، لا سيما حين يتعلق الأمر بتحليل العلاقة بين المواطن والدولة، وبين الرأي العام ومراكز اتخاذ القرار. وقد برز هذا المفهوم في أفق الفكر الغربي الحديث كمحاولة لتفسير كيف يمكن للأفراد، بوصفهم فاعلين اجتماعيين، أن يشاركوا في تشكيل الإرادة الجماعية من خلال التواصل والحوار والنقاش العقلاني. ويُعد الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني **يورغن هابرماس** من أبرز من تناولوا هذا المفهوم، حيث قام بتأصيله فلسفيًا وتاريخيًا وسوسيولوجيًا، من خلال عمله المرجعي "التحول البنوي للمجال العام"، الذي صدر عام 1962.

يعتبر مفهوم "المجال العام" من المفاهيم الجوهرية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، حيث يُستخدم لتحليل طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، ولتفسير دور النقاش العمومي في تشكيل الوعي السياسي والمواقف الجماعية. وقد شهد هذا المفهوم تطورًا ملحوظًا في الحقول الفلسفية والسوسيولوجية، إلا أن الطرح الذي قدمه الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس** يُعد من أبرز المساهمات التي أعادت تشكيل معالم هذا المفهوم، وربطه بتحويلات الحداثة الغربية وشروط الممارسة الديمقراطية في المجتمعات المعاصرة.

في كتابه المرجعي "التحول البنوي للمجال العام" الصادر سنة 1962، انطلق **هابرماس** من تحليل تاريخي واجتماعي لنشأة المجال العام في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مركزًا على تطوّر الفضاءات التي أتاحت للأفراد التداول الحر في الشؤون العامة، مثل الصالونات الأدبية والمقاهي والمجلات الثقافية. وقد اعتبر **هابرماس** أن المجال العام البرجوازي مثّل لحظة مثالية من حيث التقاء المواطنين العقلانيين، وتبادلهم الآراء بشكل حر ومنظم، بعيدًا عن تدخل الدولة أو هيمنة السوق.

لكن هذا الفضاء، حسب **هابرماس**، لم يظل ثابتًا في بنيته ووظيفته، بل عرف تراجعًا واضحًا مع صعود الاقتصاد الليبرالي المعولم، وتحوّل وسائل الإعلام إلى أدوات للترفيه والتسويق بدلًا من كونها منصات للنقاش العام. هذا التراجع انعكس سلبيًا على الطابع النقدي والعقلاني للمجال العام، وأضعف قدرة المواطنين على التأثير في صناعة القرار السياسي أو مساءلة السلطة. ومن هنا جاء نقد **هابرماس** لما أسماه بـ "التحول البنوي"، الذي أدى إلى اختلال في التوازن بين المجال العام والمجال الخاص.

وفي ظل التحويلات الراهنة التي يشهدها العالم، خصوصًا مع صعود الفضاء الرقمي وانتشار منصات التواصل الاجتماعي، عاد مفهوم المجال العام إلى واجهة النقاش، إذ يرى البعض أن التكنولوجيا الرقمية أعادت إحياء المجال العام، بينما يرى آخرون أنها ساهمت في تشويشه وتفرقه، فقد وفرت الوسائط الرقمية الجديدة فرصا كبيرة للتعبير والمشاركة الفعالة، لكنها في الوقت نفسه زادت من الفجوة المعلوماتية، وساعدت المستخدمين على نشر التضليل والانقسام المجتمعي. في ضوء هذه التحويلات، تطرح هذه الورقة البحثية إشكالية التالية مفادها:

إلى أي مدى يظل تصور هابرماس للمجال العام صالحًا لفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية في العصر الرقمي؟

2. أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من ارتباطها بأحد المفاهيم الكبرى في الفكر السياسي والاجتماعي المعاصر، وهو مفهوم "المجال العام" كما صاغه الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، الذي مثّل محاولة طموحة لفهم العلاقة بين العقلانية التواصلية والديمقراطية التداولية. وتبرز أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب أهمها:

- أنها تسعى إلى تعميق الفهم الفلسفي والنظري لمفهوم المجال العام، من خلال تحليل جذوره الفكرية وتطوره المفاهيمي في إطار نظرية الفعل التواصلية، مما يساهم في إثراء الأدبيات الفلسفية والسياسية المعاصرة وفي ظل التحولات الحالية.
- تتيح الدراسة إعادة النظر في بعض الفرضيات الأساسية حول شمولية وحيادية المجال العام، مما يكشف عن التحيزات البنيوية المرتبطة بالطبقة أو النوع أو الثقافة وذلك من خلال تناول الانتقادات الموجهة لهابرماس .
- يأتي البحث في سياق تحولات عميقة يشهدها العالم في ظل صعود الفضاء الرقمي (الجديد)، وتراجع الأطر التقليدية للنقاش العمومي. لذا، فإن مسألة مدى صلاحية النموذج الهابرماسي في ظل البيئة الاتصالية الجديدة التي تمثل أحد المحاور الهامة لهذه الدراسة.

- السعي لفتح آفاقاً جديدة لفهم دور الإعلام الرقمي والشبكات الاجتماعية في إعادة تشكيل المجال العام، ما قد يساهم في صياغة سياسات إعلامية ومجتمعية أكثر ديمقراطية وشمولاً.

3. أهداف البحث:

- تحليل الأسس النظرية لمفهوم المجال العام كما قدمه يورغن هابرماس، وذلك من خلال الوقوف على خلفياته الفلسفية والاجتماعية.
- استكشاف العلاقة بين المجال العام والعقلانية التواصلية، وكيف أسهم هذا الترابط في بناء نموذج هابرماس للديمقراطية التداولية.
- تسليط الضوء على أهم الانتقادات الموجهة لمفهوم المجال العام، لا سيما من منظور النسوية، والدراسات ما بعد الكولونيالية، والمقاربات الثقافية.
- تقييم مدى صلاحية التصور الهابرماسي للمجال العام في ظل التحولات الجديدة، خصوصاً مع بروز الفضاءات الافتراضية كمنابر للنقاش العمومي، بدلا عن النمط التقليدي .
- اقتراح مقارنة نقدية بديلة أو مكملية لفهم المجال العام، تراعي التحولات الاجتماعية والتكنولوجية المعاصرة، وتستجيب لتحديات الواقع الرقمي الجديد.

4. المنهج المعتمد:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، وذلك نظراً لطبيعة الموضوع الذي يتناول مفهوماً فلسفياً واجتماعياً مركباً مثل "المجال العام" في فكر يورغن هابرماس، وما يطرحه من إشكاليات على مستوى النظرية والتطبيق (هابرماس 2009). لا يمكن مقارنة أي موضوع، ولا سيما الموضوعات الفلسفية، دون إخضاعه لتمحيص نقدي. وإذا كانت المهمة الأساسية التي تبناها هابرماس، إلى جانب مفكري مدرسة فرانكفورت من قبله ومن بعده، تتمثل في جعل النقد ركيزة مركزية في كل مشروع فلسفي، فإن من البديهي أن تُخضع فلسفته بدورها للنقد والتفكيك. ويزداد هذا الأمر إلحاحاً حين نكون بصدد تناول إسهامات فكرية مثيرة للجدل، تباينت بشأنها مواقف المفكرين: فبين من يرى فيها أطروحة متجذرة في الواقع وقابلة للتطبيق، ومن يعدها تصوراً طوباوياً مثالياً يفتقر إلى أسس واقعية. وإزاء هذا التباين، يغدو من الضروري على الباحث، وهو يتناول مثل هذه الإشكاليات، أن يتحلى بروح نقدية موضوعية، تعزز من فاعلية التحليل وتساهم في توسيع أفق الفهم (حاجة 2018/2019). كما تم الاستئناس بالمنهج المقارن عند مناقشة مدى تطابق أو اختلاف المجال العام كما صاغه هابرماس مع التحولات التي تشهدها الفضاءات الرقمية الحديثة، وخاصة في ظل هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي، وتآكل الفاصل بين ما هو خاص وما هو عام (نجيت 2022).

5. نشأة المجال العام :

5-1 مفهومه وتطوره :

يعد مفهوم المجال العام واحداً من المفاهيم التي جرى الاعتماد عليها في قراءة العلاقة بين السلطة والمجتمع في المجالات السياسية الحديثة، خاصة بعد أن تمت ترجمة كتاب الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس للإنكليزية «التحول البنائي للمجال العام» عام 1989، الذي عرف من خلاله هذا المفهوم، بوصفه فضاء يتجمع فيه الأفراد لتشكيل ما يقترب من المجال العام حول احتياجات المجتمع من الدولة، وبالتالي للنقاش حول المسائل العامة بشكل عقلاني. وقد اعتمد هابرماس في تأكيد أطروحته هذه على خصوصية وقد ظهر ذلك في خلفية ما قبل الحداثة الأوروبية، التي شيد عليها مفهومه البرجوازي، في إطار ازدهار المجتمع المدني والتجاري، الذي ظهر في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا، والتي أدت إلى تصور جديد للمجال العام آنذاك بشكل عبر عن وجود مجتمع مدني منفصل عن الدولة. ووفقاً لهذا التصور والتقييد الصارم بهذا التاريخ على تعريف الحيز العام، بوصفه مثلاً معيارياً في الحوليات الغربية، فإن هذه الرؤية اعتقدت بأن المجتمعات المدنية والمجالات العامة خارج أوروبا الغربية، لم تستطع أن تتطور نظراً إلى خضوعها لنير تقاليد الدولة المستبدة أو بسبب الثقافة الدينية التي تحول دون مقاومة المجتمعات لتلك الدول القمعية. (الربيعو 2025).

5-2- خصائص المجال العام البرجوازي:

سعى العديد من الباحثين في مجال الرأي العام إلى تحديد خصائص منهجية وشاملة لهذه الظاهرة استناداً إلى دراساتهم وتحليلاتهم المتعددة. وفيما يلي أبرز السمات التي ميزت المجال العام البرجوازي:

5-2-1- الرأي العام كإصلاح شمولي متعدد الأوجه:

الرأي العام لا يُحتزل في ثنائية التأييد أو المعارضة، بل يتضمن طيفاً واسعاً من الآراء داخل كل فئة. فالمواقف إزاء السياسات أو الأحداث تتراوح عادة بين التأييد المطلق والمعارضة المطلقة، ما يستدعي عند قياس الرأي العام اعتماد أدوات تحليلية تُمكن من رصد التدرجات الدقيقة في المواقف، بما يعكس تعقيد الظاهرة وفراقتها.

5-5-2- تفاوت عمق وقوة الرأي العام:

تتباين درجات التعمق والاختناق في الرأي العام تبعاً لطبيعة القضايا المطروحة. فالموضوعات ذات الطابع السياسي أو الاقتصادي غالباً ما تستقطب فئة محدودة من المتخصصين الذين يصوغون مواقفهم استناداً إلى معرفة معمقة، بينما يبدى عامة الناس اهتماماً أقل بهذه القضايا، ما يجعل مواقفهم سطحية وعرضة للتغيير السريع. ومن ثم، فإن ثبات الرأي العام واستمراره يتفاوتان بحسب مستوى المعلومات والخبرة التي يعتمد عليها الأفراد في تشكيل آرائهم. (كافي 2015)

6. نظرية المجال العام :**6-1- مفهوم نظرية المجال العام :**

حسب هابرماس فإن المجال العام مجتمع افتراضي ، يتكون في الأساس من مجموعة الأفراد لديهم سمات مشتركة يكونون مع بعضهم البعض جمهور يدور بينهم نقاش الغرض منه الوصول إلى إجماع بينهم حول القضية ما محل النقاش كما أن المجال العام ينتج من خلال مجموعة من المبادرات التي ينظمها المواطنون ولا يوجد أي ارتباط مع السلطة بأي شكل من الأشكال، ويعطي الحق لجميع الأفراد للمشاركة بقدر متساو في النقاش والتعبير عن الرأي. فالمجال العام هو منطقة في الحياة الاجتماعية حيث يمكن للأفراد أن يجتمعوا لمناقشة وتحديد المشاكل المجتمعية بحرية، ومن خلال هذه المناقشة التأثير على العمل السياسي. وتسمى هذه المناقشة بالمناقشة العامة وتُعرف بأنها التعبير عن وجهات النظر حول الأمور التي تهم الجمهور غالباً، ولكن ليس دائماً، مع التعبير عن وجهات نظر متعارضة أو متباينة من قبل المشاركين في المناقشة. ومن شروط المجال العام: أنه خالي من التأثيرات والسوق والدولة وكذلك الأسرة والمجال العام = الرأي العام (منصور 2025) .

6-2- فروض نظرية المجال العام:

تقوم نظرية المجال العام على مبدأ أساسي يتمثل في ضرورة تجاوز القيود التي تمارسها السلطة السياسية على النقاشات العامة، لما لذلك من أثر في تعطيل التفاعل الاجتماعي الحر داخل هذا المجال. فالمجال العام، وفق هذا التصور، يُعدّ فضاءً للحوار العقلاني الذي يمكن الأفراد من اكتساب وعي نقدي جديد بالمشاركة المجتمعية، ويُظهر قدرتهم على ممارسة العقلانية التواصلية أثناء النقاش.

ويرى يورغن هابرماس أن تشكّل المجال العام يقوم على أربعة افتراضات محورية:

أولاً، ضرورة وجود مساحة مشتركة تسمح للأفراد بالتبادل الحر للأفكار والمعلومات حول القضايا العامة، في ظل مساواة تامة تضمن المشاركة دون تأثير للفوارق الاجتماعية أو الاقتصادية.

ثانياً، إن تجزؤ الجماهير إلى مجالات عامة متعددة يُضعف فكرة المجال العام الديمقراطي، الذي ينبغي أن يكون فضاءً موحدًا يجمع مختلف فئات المجتمع ضمن حوار مشترك.

ثالثاً، يجب أن ينصبّ النقاش داخل هذا المجال على القضايا العامة المرتبطة بالمصلحة الجماعية، لا على الاهتمامات الفردية أو الخاصة.

رابعاً، يتطلب الإطار الديمقراطي للمجال العام فصلاً واضحاً بين الدولة والمجتمع المدني، لضمان استقلالية النقاش وحرية.

وتبرز النظرية كذلك أربع سمات أساسية تميز التواصل داخل المجال العام، وهي :

حرية الوصول إلى فضاء النقاش، والقدرة على تقديم خطاب عقلائي مدعوم بالحجج، وإنتاج أحكام ديمقراطية قابلة للتطبيق العام، إضافة إلى وجود فهم مشترك بين المشاركين لطبيعة الممارسة الاتصالية ويرى هابرماس أن هذه المبادئ تمثل الأساس الذي تُبنى عليه قيم الحرية والمساواة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة، حيث يصبح الحوار وسيلة لتحقيق التفاهم والتنوير الاجتماعي (مبروك 2020).

6-3- الانتقادات الموجهة لمفهوم المجال العام :

عرف مفهوم المجال العمومي عند يورغن هابر ماس رواجاً كبيراً في الأدبيات الفلسفية والسياسية والاجتماعية المعاصرة، غير أنه لم يسلم من موجة انتقادات واسعة، طالت الأسس النظرية والمنهجية التي تبنى عليها، كما لاحظ بعض الدارسين أن هابر ماس نفسه قد اعترف بجملة من هذه الانتقادات لاحقاً. ويمكن ذكر أهمها :

6-3-1- نانسي فريزر :

تنتقد نانسي فريزر أطروحة يورغن هابر ماس حول الفضاء العام، وخصوصاً اعتماده على النموذج البرجوازي الإمبريالي، الذي تعتبره غير ملائم لمتطلبات النظرية النقدية المعاصرة. تدعو فريزر إلى تجاوز هذا النموذج لصالح تصور "ما بعد برجوازي" للفضاء العام، قادر على استيعاب التعددية الاجتماعية والحركات الجديدة، مثل الحركات النسوية والثقافية. وتؤكد على القيمة السياسية للفضاء العام من حيث دوره في تمكين الفعل السياسي الجماهيري والمشاركة الديمقراطية.

في هذا السياق، تعرف فريزر الفضاء العام: باعتباره مجالاً تداولياً يتيح للمواطنين التعبير عن مصالحهم المشتركة والنضال من أجلها. وهي تنتقد هابر ماس لإسقاطه النموذج البرجوازي على المجتمعات الحديثة، التي تختلف في بنيتها

وخصائصها عن مجتمعات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومع ذلك، لا تحمل فريزر الجوانب الأساسية في تصور هابر ماس، خاصة صلته بين الفضاء العام والممارسة السياسية النقدية، واعتباره مجالاً لإنتاج الخطاب النقدي تجاه الدولة.

وتوجه فريزر نقداً إضافياً لعدم قيام هابرماس بتقديم نموذج بديل يتلاءم مع شروط الديمقراطية المعاصرة، مؤكدة أن النظرية النقدية اليوم تحتاج إلى إعادة تفكير جذري في مفهوم الفضاء العام يتجاوز النموذج الليبرالي التقليدي، ويتناول الفضاء العام كإشكالية نظرية ترتبط بوظائف التفاعل الديمقراطي والتداول السياسي في زمن الجماهير (ثابت 2018).

6-3-2 نيغت و مارك بوستر:

انتقد بعض المفكرين، أمثال نيغت وكلاوس، تركيز هابرماس على الطبقة البورجوازية باعتبارها الفاعل المركزي في تشكيل المجال العام، متجاهلين أدوار فاعلين آخرين كالحركات الطلابية، النساء، والطبقة العاملة، الذين ساهموا في إعادة تشكيل المجال العمومي، خصوصاً خلال محطات تاريخية مفصلية في أوروبا مثل ثورة 1968. وأشار مارك بوستر إلى أن العصر الرقمي قد قلب المعادلة التواصلية، فالنقاشات العمومية باتت تُجرى عبر وسائط إلكترونية تتيح تبادل الرموز والأفكار من دون تفاعل وجاهي، ما يستوجب إعادة التفكير في نموذج الفضاء العمومي بما يتلاءم مع أشكال الخطاب الرقمي والافتراضي (ب. مبروك 2020).

7. بنية المجال العمومي - اللانموذج الليبرالي:

يشدد هابر ماس على وجود تعارض بين الدائرة العمومية والدولة ، وذلك لان الدولة تسعى الى ضبط العلاقات وتطوير وسائل الهيمنة والسيطرة على الرأي العام وتوجيهه نحو أهدافها موظفة كل الترسانة القانونية بكل وسائل الدعاية ، في حين أن دور الفضاء العمومي يقتصر أساسا على نقد آليات السيطرة والهيمنة ، معتمدا في ذلك على العقل وحده ، لبناء رأي عمومي قادر على لعب دور الوساطة ، يقول هابر ماس: "تلعب الآراء العمومية دور الوساطة ، بين حاجات المجتمع والدولة "ويعمل هابر ماس على هذين النمطين من العمومية من خلال استقصاء الفعل السياسي مشددا على أن العمومية في أوروبا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يخترقهما نطان من الفعل :

الفعل السياسي الشرعي العلني الذي يعبر عن موقف توافقي مع الدولة ، والذي يتفادى كل مواجهة بين الدولة والمجتمع المدني .

- الفعل السياسي السري غير القانوني وغير المعترف به من طرف الدولة ، وهو فعل مقموع ومضاد لسلطة الدولة ويطالب بتغييرها وهذا التميز هو الذي حاولت أن تفسره الماركسية بالصراع الطبقي ، لأن الدوافع الاجتماعية والاقتصادية هي التي تحدد طبيعة المصلحة وتحدد المعايير التي بموجبها يتم الارتقاء الاجتماعي (العلوي 2022).

8. وسائل الإعلام والمجال العام:

بالنسبة للعديد من الباحثين من بينهم " يورغن هابر ماس " كان لو وسائل الإعلام مساهمة في التأسيس للمجال العام باعتبارها تمنح إمكانية حدوث المناقشات الحرة والمتصلة بالشأن العام. فوسائل الإعلام حسب ذات الباحث تعتبر كفاعل اجتماعي في النقاش العام وتمنحه شكلا، وتعطي معنى سياسيا للأحداث التي لولا الخطاب الإعلامي ما كان لها وجود في نظر الجمهور، فالوظيفة الأولى لوسائل الإعلام هي تقديم الأخبار والمعلومات ضمن سلم من القراءات السياسية لها، مما يسمح للجمهور بتشكيل انطباعاته وآرائه على ضوءها، بهذا تتجلى وسائل الإعلام كأداة رمزية للوساطة بين الفاعلين السياسيين وجمهور وسائل الإعلام والمواطنين (قواسم 2020).

9. المجال العام في البيئة الافتراضية::

إن الفضاء العمومي الافتراضي جاء كنتيجة لتحولات و حركات تحررية من خلال اكتساب الحرية الفردية ، وقيام الفرد بالتعبير عن رائه ، وهو ما جعل هؤلاء الأفراد أمام بيئة جديدة غير التي كانوا عليها من قبل ، حيث أصبحت هناك حوارات ونقاشات ، وساعد في ذلك التطور التكنولوجي الهائل والمتجدد يوميا خصوصا في الاتصالات وسرعات أجيال الانترنت يوما بعد يوم ، مما جعل وظيفة الفضاء العمومي أكثر اتساعا ونشاطا وزاد من وعي الفرد من خلال احتكاكه بعدة ثقافات أخرى خارج بيئته (المراق 2024).

10. شبكات التواصل الاجتماعي كمجال عام:

ساهمت الشبكات الاجتماعية منذ ظهورها إلى كسر الحواجز التفاعلية للفضاء العمومي والتي تشكلها وسائل الإعلام التقليدية ، ومع توسع استعمال الإعلام الالكتروني وادت نواة الفضاء العمومي الافتراضي تتشكل تدريجيا لتبلغ ذروة التبلور مع توسع استخدام الفيسبوك و اليوتيوب بشكل أساسي مستقبلا لحالة الكبت الإعلامي الذي يعيشه الفرد نتيجة الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام التقليدية مثل ما هو حاصل في عالمنا العربي (حمزة 2015).

11. انعكاسات البيئة الافتراضية على المجال العام :

إن التدوين الذي ينتعش أطراف و شرائح من المجتمع بدءا من المواطن العادي والصحفي، وصولا إلى السياسي، وهو ما يجعله وفقا للباحثين يعتبر الفضاء الأمثل الذي يجسد الفضاء العمومي (عيسى 2020).

إن التفاعل المباشر حجر الأساس في عملية الاتصال، لا سيما في إطار المحادثة، حيث يُمكن الفرد من تنمية مهاراته الخطابية وقدراته على الإقناع، مما يساهم في بلورة وعيه الذاتي والتعبير عن أفكاره بشكل أصيل، بعيدًا عن الاكتفاء بالاستهلاك السلبي للرسائل النصية الجاهزة. ويُجمع الباحثون في مجال الاتصال على أن التواصل المباشر وجهًا لوجه يُمثل الأصل في اكتساب الكفاءات الاتصالية، لما يتضمنه من إشارات لفظية وغير لفظية، تساهم في تعميق الفهم المتبادل. وفي المقابل، يُلاحظ أن الانغماس المفرط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى حالة من الانفصال عن اللحظة الواقعية، بالتالي تراجع نوعية التفاعل الاجتماعي في المحيط القريب. وعليه، من الضروري تنمية وعي نقدي حيال استخدام هذه الوسائل، من خلال ضبط أوقات التصفح، وممارسة الحضور الذهني في العلاقات المباشرة، سواء في

المنزل أو في فضاءات العمل أو اللقاءات الاجتماعية. إن التوازن والاعتدال في استخدام الوسائط الرقمية يُعدان شرطين أساسيين للحفاظ على جودة التواصل الإنساني، وعدم الانجراف وراء ما يُشتت الانتباه عن الأولويات الحياتية) ليندة (2022).

12. سلبيات وإيجابيات المجال العام الافتراضي والعوامل المؤثرة فيها:

للمجال العام الافتراضي رغم حداثة نشأته وتطوره السريع، كما للرأي العام التقليدي إيجابيات ومساوئ تتعلق بكيفية استخدامه من جهة، وكيفية الطرح المقدم للقضايا المراد معرفة توجهه العام اتجاهها، ونستطيع أن نجمل بعض تلك الآثار وتصنيفها حسب تأثيرها في الرأي العام ونتائج ممارستها وانعكاسها عليه، وعلى القضايا المطروحة.

12-1- الآثار الإيجابية لتشكيل المجال العام:

هناك عدة آثار إيجابية عند تشكيل المجال العام نذكر منها :

- توفير المعلومات للجمهور والانفتاح والتقارب الثقافي مع المجتمعات الأخرى : من خلال الوصول لعينات أكبر من الجمهور، وكلما كان الجمهور المستهدف أكبر كلما كان للرأي العام قوته ودقته، وكلما كان التواصل أكثر أصبح الانفتاح والتقارب أكبر .
- تعزيز الوعي العام والتوعية بالحقوق والواجبات: من خلال الحديث عن القضايا الملحة والآنية التي تمس الجمهور المتلقي وشرح تلك القضايا.
- سهولة الوصول واختصار الوقت :بسبب سهولة استخدام التكنولوجيا وتحديثاتها وسهولة الوصول للمعلومة أصبح من السهل الوصول السريع للإخبار والمعلومات دون تكبد عناء البحث عنها، مما سهل عملية تشكيل رأي حولها.
- تعزيز المناخ الديمقراطي والمشاركة: ويكون ذلك من خلال تعزيز أفكار الديمقراطية من جهة وضمان أوسع مشاركة دون التخوف من تأثير أو رقابة السلطات خاصة في البلدان التي تحكمها سلطات استبدادية، إذ توفر وسائل التواصل نوعاً من الحماية للأفراد وإن لم يكن كاملاً و كذلك يسمح للسلطات بمعرفة توجهات الرأي العام وبالتالي التعامل بما يضمن عدم الصدام معه.
- التنوع في العينات: بسبب تنوع الجمهور المستخدم للانترنت وتنوع ثقافته وتنوع خلفياته الاجتماعية والدينية.
- دقة النتائج من خلال الفلتر والفرز: ويتعلق ذلك بتطوير البرامج المستخدمة لقياس الرأي العام وفرزه .
- سهولة قياس اتجاهاته: والسبب هو تطوير آليات وأدوات مراقبة وإحصاء توجهات الرأي العام.
- تجدد الرأي العام :نتيجة تجدد الخطاب والأدوات وطرق التواصل وكيفيةها، وتوفر التغذية الراجعة.

12-2- الآثار السلبية لتشكيل المجال العام:

لعل أبرز الآثار السلبية للتكنولوجيا في تشكيل الرأي العام الافتراضي تتعلق بالتأثير في المتلقي واستهداف ثقافته وتقاليد ونشر الأفكار والإشاعات التي قد تؤدي لانحرافه ومنها:

- التأثير على الاتجاهات السياسية : يمكن لوسائل الإعلام والاتصال الالكتروني أن تؤثر في الميول والاتجاهات السياسية للجمهور المتلقي, من خلال ضخ الكثير من الأخبار باتجاه واحد ومعين.
- التكرار والاستنساخ من خلال تكرار الأخبار وبالتالي زيادة تسليط الضوء على الحالة مما يخلق رأي عام حولها.
- تغذية الإشاعات وإثارة الشكوك حول بعض القضايا وبث خطاب الكراهية : مما يتسبب بتضليل الرأي العام.
- سيطرة المشاعر الشخصية /لحظة الحدث/: حيث يكون الحكم متسرعاً وآنيّاً نتيجة عدم قدرة المتلقي على تكوين فكرة كاملة عن الحدث وبالتالي التعليق عليه بشكل انفعالي قد يتغير في وقت لاحق.
- التدخلات الخارجية: التي قد تتعارض مع القيم القانونية والاجتماعية والثقافية لبعض المجتمعات, وذلك من خلال طرح قضايا خلافية أو غير متوافقة مع ثقافة المجتمع وقيمه.
- غلاء استخدام
- وسائل التواصل الاجتماعي والانترنت للبعض من الأفراد على الرغم من انخفاضها بالنسبة للمؤسسات.
- اللامبالاة عند الجمهور وعدم وجود الجدية في بعض الأحيان: ويعود ذلك إما لعدم قناعة الجمهور بجدية الأطروحات أو باليأس من القدرة على التأثير نتيجة فشل بعض التجارب, أو عدم القناعة بقدرة المجتمع الافتراضي على إحداث التغيير (علاوي 2025).

13. نتائج الدراسة:

- ✓ تحوّل المجال العام في البيئة الرقمية إلى فضاء تفاعلي مفتوح تتداخل فيه أدوار الأفراد ووسائل الإعلام والمؤسسات.
- ✓ أسهمت حرية التعبير الرقمية في توسيع المشاركة المجتمعية، لكنها أفرزت تحديات تتعلق بالتضليل الإعلامي وضعف أخلاقيات الحوار المبني على المصادقية وتقبل الرأي الآخر
- ✓ تراجع دور العقل التواصلي لصالح الخطابات العاطفية والرمزية، مما أثر على جودة النقاش العام كمنبر لإظهار الحقائق وتنوير المجتمع.
- ✓ فقد الإعلام التقليدي جزءاً كبيراً من سلطته لصالح المنصات الرقمية التي منحت الأفراد مساحة أوسع للتعبير عن آرائهم.
- ✓ ما يزال المجال العام الرقمي في مرحلة تشكّل، متأثراً بعوامل ثقافية واجتماعية تحدّد من فاعليته الديمقراطية.
- ✓ يمكن تحقيق مجال عام فعال من خلال التوازن بين حرية التعبير والمسؤولية التواصلية.

14. خاتمة

يتبدى من خلال منظور هابر ماس أن الرأي العام لا يُفهم كمجرد تعبير جمعي عن مواقف متفرقة، بل يُنظر إليه كنتاج لعمليات تواصل عقلاني تجري ضمن فضاء عمومي مستقل. هذا الفضاء، كما تصوره هابر ماس، لا يتحقق تلقائياً، بل يرتبط بجملة من الشروط الثقافية والسياسية التي تتيح للناس الانخراط في نقاشات قائمة على الحجة والتبرير، بعيداً عن التلاعب الإعلامي أو الضغوط المؤسسية.

وبالنظر إلى التحولات العميقة التي يشهدها المشهد الإعلامي المعاصر، ولا سيما مع تصاعد هيمنة المنصات الرقمية وتشابك المصالح الاقتصادية في إنتاج وتوجيه الخطاب العام، تبرز ضرورة ملحة لإعادة تفعيل مقومات المجال العمومي، ليس باعتباره مجرد إطار نظري، بل بوصفه فضاءً عملياً يتيح مشاركة فعلية للمواطنين في صياغة السياسات والقرارات المصيرية. وفي هذا السياق، يغدو الرأي العام فاعلاً أساسياً في التأثير على مجريات الأحداث، لا مجرد انعكاس لها.

14-1- التوصيات:

- تعزيز البحوث التطبيقية التي تتناول المجال العام، من خلال تحليل نماذج واقعية للنقاشات العامة في المنصات الرقمية، بما يسمح بفهم أعمق لآليات التفاعل والتأثير
- الربط بين البعد النظري والممارسات الإعلامية الراهنة، من خلال دراسات مقارنة بين المجال العام التقليدي ونظيره الرقمي، لبيان مدى التحول في طبيعة الخطاب والمشاركة.
- تطوير أدوات تحليل الخطاب الإعلامي بما يتناسب مع طبيعة الفضاءات التفاعلية الجديدة، التي تقوم على السرعة والمشاركة الجماعية وتعدد مصادر التأثير.
- تعميق الاهتمام بالأبعاد الثقافية والاجتماعية في دراسة المجال العام، باعتبارها محددات أساسية لطبيعة المشاركة والتواصل داخل المجتمع.
- تشجيع مبادرات الحوار العقلاني والتواصلي في الفضاء الرقمي، بما يرسخ قيم التعددية والاختلاف الإيجابي، ويحدّ من هيمنة الخطابات المضللة
- إعادة الاعتبار لدور الإعلام التشاركي الذي يمنح الأفراد فرصة التعبير والمشاركة في النقاشات العامة، ويسهم في ترسيخ قيم المواطنة والمسؤولية.
- العمل على الحد من تجارية الخطاب الإعلامي، عبر تشجيع سياسات إعلامية تركز على خدمة الصالح العام وتعزيز النقاش العمومي الهادف والبناء.
- إقامة فضاءات رقمية عمومية بإشراف أكاديمي أو مدني، تتيح للمواطنين مناقشة القضايا العامة في بيئة منفتحة ومسؤولة.

- دمج مفاهيم المجال العام والعقل التواصلي في المناهج الجامعية، خصوصًا في تخصصات الإعلام والاتصال، لتنشئة جيل يدرك أهمية الحوار والنقاش الحر.
- دعم البحث العلمي العربي في مجالات الخطاب الإعلامي والتحول الرقمي، بهدف بناء معرفة نقدية قادرة على تفسير الظواهر الاتصالية المعاصرة.

المصادر والمراجع

- بن عمروش فريدة و لموشي مبروك. الاعلام الجديد والمجال العام الافتراضي. المجلد 18 - 19 . الجزائر : جامعة الجزائر 3، 2020.
- بن عمروش فريدة، لمشونشي مبروك. الاعلام الجديد والمجال العام الافتراضي. المجلد 7. الجزائر : جامعة الجزائر 3، 2020.
- بن عيسى قواسم. "رهانات الفضاء العمومي الافتراضي." file:///D:/Downloads/5، ديسمبر، 2020:
- بن ناصر حاجة. الدولة الكونية و إشكالية القيم المعاصرة . جامعة وهران 2 الجزائر : كية العلوم الاجتماعية ، 2019/2018.
- حنان منصور. نظريات علوم الإعلام والاتصال. المجلد 70. الجزائر: جامعة الجزائر 3، 2025.
- رشيد العلوي. "الفضاء العمومي من هابر ماس الى نانسي فريزو." -https://mominoun.com/pdf1/2014-11/545e02a2d35592087784350.pdf، 15 يناير، 2022.
- عبيدي سناء و لبيض ليندة. "انعكاسات استخدام المجال العام الافتراضي على المجتمع الجزائري." 1091-1079 :2022 , 06 05 , https://asjp.cerist.dz/en/article/190995
- فراس علاوي. "سلبيات وإيجابيات قياس الرأي العام الافتراضي والعوامل المؤثرة فيها ." https://alsharqnews.net/10667 ، مايو، 2025 .
- قواسم بن عيسى. "رهانات الفضاء العمومي الافتراضي." file:///D:/Downloads/5، ديسمبر، 2020 :117.89.
- لبيديا صفوت ابراهيم بخت. "المجال العام والفعل التواصلي عند هابر ماس كأطر موجهة للبحوث الإعلامية - رؤية تحليلية نقدية." 2416-2365 :2022 ، بريل , https://jsb.journals.ekb.eg/article_239983.html
- محمد الربيعو. "في نقد أطروحة هابر ماس حول جينالوجيا المجال العام الحديث." 2025 , 22 يوليو , https://www.alquds.co.uk/%25EF%25BB%25BF
- مصطفى يوسف كافي. الرأي العام ونظريات الاتصال. المجلد 1. المجلد 27. 28. عمان: دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2015.
- نوار ثابت. الفضاء العام عند يورغن هابر ماس. المجلد 14. الاردن: الجامعة الاردنية، 2018.
- هوارى حمزة. "مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي." file:///D:/Downloads/3، ديسمبر، 2015
- يسرى أحمد الهراق. "العمومي الافتراضي وسؤال المواطنة." https://www.mominoun.com/articles/9535 ، 6 نوفمبر، 2024 .
- يورغن هابر ماس. التحول البنيوي للفضاء العام. بيروت : المنظمة العربية للترجمة، 2009.